

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

الباحثة/ ناجية على راشد الخرجي

باحثة وخبيرة في اللغة العربية

دولة الإمارات العربية المتحدة

مدخل

تقاس اللغات في العالم بتاريخ نشأتها وامتدادها المتجذر في الزمن، هذا الامتداد الذي يمنحها الأصالة والعراقة على خريطة اللغات العالمية.

وإذا كانت اللغات الحية القديمة كالفارسية لها تاريخ ممتد من النشأة والتطور حتى نضجت وأصبحت لغةً تحمل بين طياتها ملامح دقيقة للتاريخ الفارسي والحكم والآداب الساسانية القديمة ، فإن العربية قد فاقتها من حيث العمر المتجذر في التاريخ الإنساني الذي يحصى بالآلاف السنين منذ عهد إسماعيل عليه السلام الذي روت الوثائق (1) " أنه أول من نطق بالعربية" ، وقبل الإسلام مرتّ العربية بأطوار مفصليّة تطوّرت خلالها حتى نضجت واستقرّت قبيل ظهور الإسلام ، وقد كانت أهم مظاهر هذه الأطوار هي اللهجات العربية⁽²⁾ التي ميّزت بعض القبائل العربية المنتشرة على سواحل شبه الجزيرة العربية وأوساطها، غير أن للأسواق العربية التي حرص العرب على التوافد عليها وإقامتها في مواسم معينة وأماكن محددة حول مكة في موسم الحج كانت لها الدور الأكبر في عملية الصّهر اللغوي.

"فكانت أسواق⁽³⁾ مثل سوق مجنة وذي المجاز ثم سوق عكاظ " أهم ثلاث أسواق كانت تمارس فيها أنشطة تجارية وثقافية واجتماعية مثل إبرام العقود وإعلان الحروب والأحلاف

1 (راجع : الحاكم النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین , تحقیق مصطفی عبد القادر عطا، ط2، الناشر دار الكتب العلمية ، 1422-2002، ج5 ، ص3210.

_ وراجع أيضا : السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: المزهرة في علوم اللغة. ج1، بيروت. دار الفكر. 2002م ، ص32، ص34).

2 (للمزيد راجع (يوهان) فك: العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والأسلوب ، ترجمة د/ رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - 1980 ص 20 وما بعدها .

_ وراجع أيضا: - د. إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربيّة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1956م بتصرف.

- وراجع أيضا: - د. إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربيّة ، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ، 1956م، بتصرف.

3 راجع : د محمد عبد الحميد خليفة : الأسواق العامة حول مكة المكرمة ودورها العلمي والحضاري في تشكيل الملامح الأدبية لمكة المكرمة -المؤتمر الدولي لاختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة

السعودية، 2005م، ص2.

_ وراجع أيضا (عرفان محمد حمور) : سوق عكاظ ومواسم الحج ، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ، 2000 ، ص203-206 . وأيضا: (سعيد الأفغاني): أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، 1356هـ / 1937م ، ص 180 .

الباحثة/ ناجيه على راشد الخرجي

والمعاهدات ، كما كانت منبراً للعربية من خلال شتى المؤتمرات والفعاليات الأدبية إذ كان الشعراء العرب يفدون من كل حذب وصبوب إلى هذه الأسواق ليعرضوا بضاعتهم الشعرية ، فتطرح القصائد وتطرح الآراء النقدية اللغوية ويتعرف عرب قبائل الجنوب على لهجات غير عرب الشمال والشرق .

الأمر الذي يجعلنا نؤكد أن " ثمة إرادة إلهية⁽⁴⁾ في ذلك التوقيت الزمني تحديداً والبقعة الجغرافية خاصة" ؛ لأجل توحيد تلكم اللهجات العربية وصرها جميعاً في بوتقة لغوية واحدة كانت لهجة قريش فيها الدور الأعظم والسمة البارزة ، ليأتي الإسلام ويتنزل القرآن ويجد سبيله يسيراً إلى قلوب العرب جميعاً فيشهد الكفار قبل المؤمنين على دقة إحكامه وسبك تراكيبه وجمال أسلوبه الذي أعجزهم أن يأتوا بمثله ، لذلك فإننا نردد ما ذكره طه حسين في كتابه ((الشعر الجاهلي)) الذي أكد فيه على أننا ينبغي أن نستدل بالقرآن على صحة العربية وليس العكس⁽⁵⁾، عند هذه اللحظة التاريخية في حياة البشرية انطلقت العربية انطلاقاً الحضارية ومكنت لنفسها لتصبح لغة دينية وثقافية وحضارية .

وتأتي مرحلة تاريخية إبان القرون الأربعة التالية على عهد الدولتين الأموية والعباسية لتتبري مجموعة من العلماء للتأليف في علوم العربية للحفاظ على القرآن والسنة فنشأت علوم⁶ النحو والصرف لضبط بنية الكلمة وبنية الجملة ، ثم علم البلاغة والنقد لتأصيل بعدها الجمالي ، ثم ألفت المعاجم العربية من معاجم معانٍ إلى معاجم ألفاظ، كل هذا على التوازي من ظهور علوم القرآن كالتجويد والتفسير إلى علوم الحديث وسائر العلوم العربية التي مهدت الطريق لظهور الطفرة العلمية ، وتعيش الثقافة العربية أزهى مراحلها بالتأليف العلمي في الفلسفة والكيمياء والطبيعات والطب والصيدلة إلخ.⁽⁷⁾

⁴ (راجع نفسه (د محمد عبد الحميد خليفة : الأسواق العامة حول مكة المكرمة ، ص62).
_ وراجع أيضاً د. محمد محمد حسين ، أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين ، ط2، دار النهضة ، بيروت 1972م ، ص120 .
2) طه حسين : في الأدب الجاهلي ، الطبعة العاشرة، دار المعارف ، 1969 م ، راجع المقدمة.
- وللمزيد راجع أيضاً د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) الطبعة الثانية والعشرون ، دار المعارف ، القاهرة ، دت ، القسم الأول بتصرف .
⁶ (راجع : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن: المزهري في علوم اللغة ، ج1 ص25 وما بعدها.
_ وراجع أيضاً (د.صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين ، الطبعة التاسعة ، بيروت ، 1981م ، ص60 وما بعدها
⁷ (راجع على سبيل المثال ما حواه كتاب: ابن النديم : الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان - 1348 هـ .

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

ومراجعة يسيرة لقائمة المؤلفين من العلماء في شتى المجالات العلمية واللغوية والثقافية تكشف عن أمر غاية في العجب والاندھاش ألا وهو: أن أكثر من سبعين في المئة من أصحاب التأليف في علوم العربية والعلوم الدينية والفيزياء والطب والفلسفة جميعهم من أصول غير عربية أعجمية كانت العربية لغتهم بمعنى أنها كانت لغة العلم والثقافة، الأمر الذي أجبرهم جميعاً في التخلي عن لغتهم الأصلية؛ ليكتبوا بالعربية طالما أنها أصبحت لغة العلم.

إنّ من يستعرض أسماء من مثل: البخاري والترمذي وابن ماجه والطبري وغيرهم في الإسلاميات ، كذلك أبي علي الفارسي وسيبويه والرّجاج والفيروزبادي وغيرهم في علوم اللغة ، كذلك ابن سينا والخوارزمي وابن حيان والبيروني والفارابي وغيرهم كثير كثير يكشف بجلاء وبما لا يدع مجالاً للشك أن أولئك الأعاجم والذين أصبحوا مسلمين يتخذون العربية لغتهم، التي تحمل ملامح لهويتهم الدينية وصنعتهم إذ لم يجدوا إلا في العربية لغةً للتأليف ، فلم يكن ذلك إلا إيماناً منهم " بأن العربية أصبحت هي لغة العلم والحضارة (8) التي أبهرت العالم ، فجعلت مستشركي الغرب وفلاسفتهم يتجهون إليها لينقلوا عنها فنشطت الترجمات عبر مدن العلم وحواضر الثقافة العالمية كبغداد والبصرة وبخاري وأصفهان والقاهرة وسمرقند وقرطبة وغيرها من الحواضر الإسلامية التي أصبحت كعبتهم وأملهم الوحيد في نقل النور العربي ليبيد ظلام الجهل والتخلف الحضاري في الغرب ، فيما أوشكت عصور الظلام والجهل والتخلف تسيطر على أوروبا ، فلعم علمائها المسلمون وكانت أسساً بنيت عليها الحضارة الغربية نهضتها الحديثة . وتشهد مكتبات أوروبا جميعها بذلك إذ لا تزال مؤلفات هؤلاء العلماء الأفاضل مخطوطة لديهم محفوظة كأيقونات دالة وشاهدة على العطاء الرّاحر لعلم المسلمين مؤلفاً باللغة العربية.

تاريخ العربية :

ونظرة تاريخية إلى نشأة اللغات في العالم تكشف عن آلاف اللغات التي نشأت ثم ماتت تاركة وراءها ذكريات لغوية لا يعرف سوى أسمائها من المخطوطات وكتب التراث، وقد تفاوتت حيوات هذه اللغات قصراً وطولاً وما بقي من أكثرها إلا أطلالٌ لعل أكثرها جاء "على صورة نقوش (9)

(8) د محمد عبد الحميد خليفة: صور من الحياة الأدبية في أوزبكستان العباسية، ط1 ، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية 2006م، ص18.

(9) (يوهان) فك: العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والأسلوب، ص111 .
- وراجع أيضا ما كتبه طه حسين حول رواية أبي عمرو بن العلاء من أن لغة أهل اليمن لم تكن كلغتنا.
_ راجع طه حسين : الأدب الجاهلي ، ص 15 وما بعدها.

وإذا نظرنا إلى العربية بالقياس إلى اللاتينية التي انحدرت عنها اللغات الأوربية الحية لوقفنا على عمرٍ مديد للعربية قياساً بالفرنسية والإنجليزية على سبيل المثال ، ومع ذلك لم تدرك العربية الشيخوخة اللغوية بل برهنت على ثبات قَدَمها ونضجها بفضل مجموعةٍ من العوامل التي ضمنت لها البقاء وحفظت لها خلودها على عبر الزمان ، ويقف القرآن الكريم في صدارة هذه العوامل إذ ضمن القرآن ثبات اللغة وانتشارها حيث جمع ملايين المسلمين عرباً وغير عرب حفظاً وتلاوةً وتجويداً إذ مثل القرآن محور العقيدة وكان دستورهم في الحياة ولا يزال ، ثم كانت آلاف المؤلفات حول القرآن تفسيراً للفظة ومعانيه وتفصيلاً لمطلقة ومقيدة ومجمله ومفصله وناسخه ومنسوخه ومكّيه ومدنييه، ثم كانت مؤلفات أخرى حول أوجه إعجازه وجمال أحكامه ومجازه وحقيقته. إن القرآن الكريم قد ضمن للعربية حفظاً وثباتاً وانتشاراً فلا يزال المسلمون يقرؤونه الآن كما كان يقرؤونه أسلافهم منذ أربعة عشر قرناً ويتنافسون في حفظه وتجويده.

ثم كانت السُّنة النبوية بما تشرحه وتفسره وتوضحه لها الفصل الثاني في حفظ العربية فقد قيّد الله علماء نذروا حياتهم لحفظ حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتصنيفه وشرحه وبيان مآربه والأحكام المستنبطة منه بوصفه المصدر الثاني بعد القرآن للشريعة الإسلامية، خاصة إن ما صح من الحديث عن رسول الله عكس بدوره جمال اللغة في أصفى عباراتها، ألم يكن محمد بن عبد الله أفصح من نطق بالضاد؟!

هذا ولقد حظي القرآن وكذلك الحديث الشريف برغبة علماء آخرين لترجمتهما أو لنقل بالأدق لترجمة معانيهما لسائر اللغات الحية، ليخالد اللفظ والمعنى في أنفس من يقرأه.

مكانة العربية وقيمتها عند أهلها:

واللغة العربية من أهم لغات العالم على الإطلاق، حيث تحتل المرتبة الأولى في قلب كل عربي وكل مسلم، تحديداً بعدما خصصها الله عز وجل بكونها لغة (القرآن الكريم) الذي هو رسالة الله جل جلاله ومعجزته التي أنزلها على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما صنفت اللغة العربية من قبل المتخصصين في علم اللغات بأنها مشتقة من الأصل السامي، مثل بعض اللغات الكلدانية والسريانية حيث تتشابه في العديد من مفرداتها، ولكن تم الإهتمام باللغة العربية بعد ما ارتبطت بالدين الإسلامي، حيث قال الله تعالى في كتابه الكريم: (إنّا أنزلناه قرآنًا عربيًّا).

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

لقد اجتمع الشعر العربي إلى جانب القرآن والحديث فأصبح وعاءً حافظاً للعربية وكتب للشعر العربي أيضاً البقاء والخلود فلا نزال نقرأ المطولات الجاهلية الآن ونستمتع بتراكيبها ومعانيها وعليها اعتمد مفسرو القرآن في تفسير ما استغلق عليهم من لفظ أو غاب عنهم من تركيب. إن المقام يطول بنا إذا عددنا تفصيلاً مجموعة العوامل التي حفظت للعربية عبر قرون طويلة من الزمان.

ثراء العربية له بعدان :

ومن يتأمل العربية ذاتها بوصفها أصواتاً لحروف، ومفردات، وتراكيب يقف على أبعادها الجمالية⁽¹⁰⁾ وثنائها الدلالي واللفظي؛ ذلك الثراء الذي لا يمكن للغة أخرى أن تحتوي عليه.

أولاً: البعد النوعي ونضرب له مثلاً يكشف عن ثرائها دلالياً وجمالياً:

(أ) احتواؤها على المشترك اللفظي⁽¹¹⁾؛ إذ تتفرد العربية بأن يكون بها اللفظ واحداً وله معانٍ شتى كل بحسب سياقه فلفظ عين الذي يحمل معاني مثل: عين الأبصار، عين الماء، عين الشيء وسطه، عين المال إلخ.

(ب) التضاد اللغوي إذ تحتوي العربية على لفظ واحد يحمل معنيين متضادين مثل الجون الذي يحمل معنيي الأسود والأبيض معاً، والقرع الذي يحمل معنيي الحيز والظهر معاً، ولفظ السلم الذي يحمل معنيي الصحيح والسقيم معاً ... إلخ.

(ج) الترادف اللغوي فقد يكون المعنى واحداً وله ألفاظ شتى تصل إلى المئات في بعض الأحيان كالسيف والحسام والمهند وذو الفقار والماضي والصفحة والأبيض والقاطع إلى آخر هذه الأسماء لمعنى واحد هو السيف، وقل مثل ذلك في أسماء الأسد والحية والجمل إلى آخره.

وهنا ينبغي أن ننبه إلى أن الترادف المذكور يكشف عن دقة لغوية وثراء دلالي أكثر مما يكشف عن زيادة مجانية إذ أن كل اسمٍ من أسماء السيف مثلاً يكشف عن حالة من حالاته، فلا تطابق إذن تام الدلالة بين ألفاظ السيف وإنما كل منها يحمل دلالة خاصة به إضافة إلى الدلالة العامة.

¹⁰ راجع على سبيل المثال ماكتبه الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين ، مجلدان ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، 1985 م ، المقدمة ص7 وما بعدها.

¹¹ في ذلك راجع ابن فارس اللغوي :الصاحبي في فقه اللغة وسر العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق فائز محمد، مراجعة إميل يعقوب ، ط4 ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1999م ،ص99 وما بعدها.

الباحثة/ ناجيه على راشد الخرجي

ثانياً: هذا عن جانب من الثراء اللغوي في بعده النوعي والدلالي، غير أن هناك جانباً آخر أعظم دلالة وأقطع في البرهان على ثراء العربية وتفردها له الجانب الكمي الذي تكشفه عملية إحصاء رياضية يسيرة.

ويدل الإحصاء المقارن على الثراء الكمي للعربية إذا ما قورنت بمثلها من اللغات العالمية الحية، فالمعاجم والقواميس لدى كل لغة تحتفظ بكلماتها سواء أكانت أسماء أم أفعالاً تحيل إلى دلالة معنوية أو مادية، وهنا تتربع العربية فوق كل اللغات وتتفوق عليها كماً، كما فاقتها كيفاً:

" اللغة العربية وتحتوي على 12,302,912 كلمة دون تكرار .

اللغة الإنجليزية وتحتوي على 600,000 كلمة.

اللغة الفرنسية وتحتوي على 150,000 كلمة.

اللغة الروسية وتحتوي على 130,000 كلمة." (12)

هكذا يبدو للناظر مدى الفارق الكبير بين العربية من جهة وبين غيرها من اللغات التي تزعم الثراء والتفوق.

العربية ونحت المصطلح :

قضية أخرى هي مقدرة العربية خاصةً ببنيتها الصرفية على صياغة مصطلحات دقيقة الدلالة على العلم الذي تشير إليه، ونظرةً إلى أيّ كتابٍ في علمٍ من علوم العربية يكشف عن كم هائل من المصطلحات التي نحتها أصحابها بدقةً بالغةً للدلالة على موضوعها لتكون وفقاً عليه دون غيره.

ولم تكن العربية في صياغة مصطلحاتها منغلقةً على علوم الأدب والبلاغة والنقد والنحو وعلوم الدين فحسب وإنما مراجعة بسيطة لكتب الطب والهندسة والصيدلة والفلك والطبيعات كشفت بدورها على مقدرة أصحاب هذه الكتب في نحت مصطلحات علمية تمتاز بالدقة والعلمية عن الحالات والأمراض في شتى المجالات العلمية ، وينبغي هنا أن نذكر بجهود فريقين من علماء العربية في نحت مصطلحات دقيقة لا تزال حيةً حتى الآن وفارقه بين

(12) موقع الموضوع. - كتابة آلاء جرار - تاريخ النشر: 13 ديسمبر ٢٠١٧

: https://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%B1%D8%AA%D9%8A%D8%A8_%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

الدلالات الملتبسة ، فأدلّ هذين الفريقين علماء الأصول كالشافعي والقرافي والغزالي والشاطبي ، وتعيدهم الطريق لعلماء الفقه وغيرهم .
أما الفريق الثاني فعلماء اللغة من نحاة وعلماء عروض وتعيدهم الطريق لعلماء الحديث بمصطلحاتهم الدالة التي سوّدت آلاف الصحف حتى الآن.
إن مقدرة أي لغة على صياغة المصطلح العلمي الدقيق لضبط علومها لأكبر دليل على عظمتها وثرائها ومقدرتها على البقاء وتجديد خلاياها لتصبح حيةً اليوم كما كانت حيةً بالأمس .

اللغة العربية وعاء الحضارة:

وتقاس أي لغة في تاريخ البشرية بما خلفته من تراث أدبي كتب بها كالتراث اليوناني الذي خلفه أدباء من أمثال سوفكليس وسكيليوس ، والتراث الأدبي الروماني الذي يمثله هرقل وهوراس .

أما الأدب العربي فلم تعرف البشرية من حيث الكم تراثاً يوازيه أو يقاسيه فإننا أمام قائمة من شعراء جاهلين وأمويين وعباسيين ومن تلاهم من عصور أخرى حتى العصر الحديث ، قائمة تطول وتطول مُخلدة أسماء الآلاف من الشعراء العرب وغير العرب ممن كتب بالعربية كابن الرومي وأبو نواس وبشار إضافةً إلى آلاف الصفحات التي حفظت عشرات الخطب والمقامات والرسائل الإخوانية والسلطانية كتبت جميعها بأسلوب متأنق ولغة ثرية وبلاغة لا يزال الدارسون يبحثون عن وجوهها المتعددة .
لقد أصاب من أكد أن الشعر ديوان العرب بما حفظه من أيامهم وأنسابهم وتاريخهم الحد الذي اعتمد عليه كثير من علماء التاريخ والاجتماع بوصفه وثائق تاريخية وسجلات اجتماعية إضافة إلى كونه نصوصاً جمالية .
لقد لفت الأدب العربي كماً وكيفاً النقاد والمؤرخين العرب كما لفت المستشرقين⁽¹³⁾ إليه فهبوا لتوثيقه حيناً ونشره حيناً آخر وشرحه وترجمته حيناً ثالثاً، وما هذا إلا دليلٌ دامغٌ على اهتمامهم بالعربية ذلك الجسر الذي حمل تراثاً أدبياً وافراً وكبيراً .

¹³ راجع في ذلك قائمة طويلة من المستشرقين الألمان والفرنسيين والإيطاليين والإنجليزيين ، من أمثال كارل بروكلمان ، ونولدكه ، ونيكلسون وجب وبلاشير ، إلخ

وللمزيد يمكن مراجعة كتاب: يوهان فك: تاريخ حركة الاستشراق ، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، نقله للعربية عن الألمانية: عمر لطف العالم ، دار الكتب الوطنية ، الطبعة الثانية ، بنغازي ، ليبيا ، 2001م.

الباحثة/ ناجيه على راشد الخرجي

وإلى جانب التراث الأدبي يقف التراث العلمي الذي أُلّف بالعربية وأصبح أساساً للنهضة العلمية الأوروبية بعد ذلك، فتتافس مستشرقو الغرب بدافع سياسي في الأساس في كنز المخطوطات العلمية في الطب لابن سينا والكيمياء لابن حَيان والطبيعات للبيروني وابن الهيثم والفلك والفلسفة فكانت هجمة الغرب على هذه الكنوز العربية لدليل آخر بل اعتراف مؤكد على عظمة العربية التي أصبحت لغة علم إلى جانب كونها لغة أدب.

ويكشف التاريخ أن الدول التي تقع ضمن المحيط الجغرافي الأوروبي وحكمها الإسلام فترةً من الزمن كالأندلس مثلاً التي كانت تجمع من العلماء والأدباء والفلاسفة الذين يصنفون بالعربية في مدارس ذاعت شهرتها في الآفاق الأوروبية الشمالية، الأمر الذي جعل المتعلمين من الشباب الأوروبي والرهبان وبعض الكهنة يفتدون إلى حواضر الأندلس⁽¹⁴⁾ لينهلوا العلم العربي ويحاولون ترجمة ما استطاعوا من كنوزه ومخطوطاته إلى القشتالية والفرنسية واللاتينية.

وهو أمر يذكرنا بحواضر وعواصم في دول الإسلام خلال القرن الرابع والخامس الهجري كانت بمثابة الجامعات ومراكز الإشعاع العلمي والثقافي للعالم كبغداد والكوفة وسمرقند وبخاري والري وأصفهان والقاهرة وقرطاجة وقاس إلخ... ويكفي مطالعة كتاب من مثل الحضارة في القرن الرابع الهجري (لآدم ميدز)⁽¹⁵⁾ للوقوف على انبهار العقلية الغربية بحجم ما وصلت إليه الحضارة العربية والإسلامية وما حققته من طفرة علمية وحضارية غير مسبوقة.

ولما كانت اللغة هي أهم عنصر من عناصر الحضارة . وهي الوسيلة الرئيسة التي يتعامل بها أفراد كل مجتمع، فإنها من ناحية تتأثر بجوانب عديدة من تلك الحضارة وتصبح سجلاً لها، ومن ناحية أخرى تفرض على الفرد أن يراعى عند استخدامها، جميع تلك الأمور الحضارية التي تكون قد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تفكير كل عضو من أعضاء مجتمع معين، بل جزء من شخصيته العامة التي ينتشابه بها مع غيره من الأعضاء، على الرغم من احتفاظه بصفاته الشخصية الخاصة.

¹⁴ (للمزيد راجع ماكتبه في ذلك ، د محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، الطبعة الرابعة ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1997م.

¹⁵ (راجع : (آدم) ميدز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط4 ، دار الكتاب العربي، بيروت - 1967 ، الفصلان الأول والثاني. _ وراجع أيضا : (أ.أحمد) أمين : ظهر الإسلام ، ج3 ، ط5، مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة - دت . بتصرف . وأيضا (أ.أحمد) أمين : ضحى الإسلام ، ج1 ، ط10، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة - دت . بتصرف .

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

هكذا كان الارتباط بين أية حضارة إنسانية ولغتها ارتباطاً وثيقاً ، بحيث يكون أحدهما دليلاً على الآخر ، وبصيغة أخرى : فإن اللغة تعد مرآة جلية تعكس ذاكرتها أو قل ألفاظها المنجز الثقافي والمعرفي الذي صيغ بها، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين حينما أكد أنه من الضروري " اعتبار اللغة فهرساً لحضارة كل مجتمع من المجتمعات ، تتأثر بها وتؤثر فيها ، بحيث يصبح الفصل بينهما أمراً متعذراً ، ولعل أفضل الطرائق لفهم تلك الصلة هي أن ننظر في أهم العناصر ، اللغوية وغير اللغوية ، التي تحكم التواصل والتفاهم في أي مجتمع من المجتمعات " (16)

اللغة العربية وحركة الترجمة :

وإذا كانت عالمية أية لغة في العالم تقاس بكم المترجم إليها كما تقاس أيضاً بكم المترجم منها فإننا نستطيع القول إن مفكري العالم ودور النشر الأوروبية والأمريكية قد لوحظ أنها زادت من ترجمات المؤلفات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والأسبانية إلى العربية وذلك يعد اعترافاً واضحاً أن هناك لغةً يتحدث بها كم لا يستهان به على مستوى العالم هم العرب الذين أدركوا ضرورة التعرف على الآخر الأوروبي من خلال مُنجزِ الثقافة ولا تكاد تخلو دولة عربية من مجموعة من كتابها وأدبائها التي ترجمت كثير من أعمالهم إلى اللغات الأجنبية .

- وقد اهتمت كثير من المواقع برد حركة الترجمة لدى بعض الروائيين العرب إلى اللغات الأجنبية ، فأحد هذه المواقع (17) يرصد إحصاء لبعض هذه الترجمات فمنها:
غادة السمان: فغادة السمان الكاتبة السورية على سبيل المثال قد كتبت واحد وثلاثين كتاباً ، وتمت ترجمتهم لعشرة لغات مختلفة منها الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية والروسية وغيرها .
- أما الكاتب الجزائري واسيني الأعرج : صاحب روايات "طوق الياسمين، شرفات بحر الشمال، أصابع لوليتا"، والسرد التاريخي التجديدي في "كتاب الأمير، البيت الأندلسي"، فقد ترجم بعض أعماله إلى اللغة الفرنسية بنفسه، كما تمت ترجمة العديد منها إلى اللغات الألمانية، الإيطالية، السويدية، الدانماركية، العبرية، الإنجليزية والإسبانية.
- أحلام مستغانمي: كذلك أحلام مستغانمي قد ترجمت أعمالها للإنجليزية والفرنسية.

(16) د: نايف خرما ، د. على حجاج ، كتاب اللغات الأجنبية ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني الكويت ، 1988 ، ص114.

(17) الموسوعة الشاملة : مجلتك - كتب إيمان محمد . - تاريخ النشر: 21 مارس 2017

<https://www.magltk.com/muslim-scholars/>

الباحثة/ ناجيه على راشد الخرجي

- كذلك الكاتب السعودي عبد الرحمن منيف صاحب ثلاثية "مدن الملح" ورواية "الأشجار واغتيال مرزوق" و"قصة حب مجوسية"، وقد أدرجت بعض أعماله في برامج التعليم بجامعة أوروبا وأمريكا، كما منحت منظمة اليونسكو موافقتها على ترجمة أعماله إلى أكثر من 15 لغة أجنبية.

- وأخيرا الروائي السعودي يوسف المحميد وقد حققت روايته، " الحمام لا يطير في بريده" و"فخاخ الرائحة" انتشاراً واسعاً، كما تُرجمت بعض رواياته أيضاً إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

وربما لوحظ أيضاً أن آخر ثمانينيات القرن العشرين قد شهد نشاطاً ملحوظاً في ترجمة الأدب العربي إلى اللغات الأوروبية، خاصةً بعد اعتراف مؤسسة جائزة نوبل العالمية بعالمية الأديب العربي نجيب محفوظ الذي فتح فوزه بجائزة نوبل الباب على مصراعيه لترجمة الروايات المصرية والعربية إلى شتى اللغات الأجنبية خاصة الروايات التي حصل أصحابها على جوائز إقليمية أو دولية، كصنع الله إبراهيم، وإبراهيم عبد المجيد، وعلاء الأسواني، والطبيب صالح.

وإذا توقفنا قليلاً عند نجيب محفوظ كنموذج لاستطعنا التأكيد على أن الفوز بجائزة دولية لعبت دوراً أكبر في انتشاره العالمي وترجمة أعماله إلى أكثر من لغة، وقد ترجمت العديد من أعمال محفوظ لمعظم اللغات ومنها الإنجليزية والفرنسية والاسبانية الإيطالية والألمانية والهولندية.

لكن تظل كتاباته الروائية الأكثر شهرة عالمياً في إسبانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وأمريكا والعالم كله تقريباً هي ثلاثية: "بين القصرين"، "السكرية" و"قصر الشوق" وكذلك "ثرثرة فوق النيل"، وكلها أعمال أمعنّت تصويراً لواقع مصر الاجتماعي أثناء القرن العشرين وترجمت إلى 25 لغة.

(وإن انتقلنا إلى ترجمات نجيب محفوظ فإنه يمكن الإشارة سريعاً إلى أن رواياته قد ترجمت إلى نحو 40 لغة من لغات العالم المختلفة، وتعد مطبعة الجامعة الأمريكية بالقاهرة هي الناشر الرئيسي لترجمات نجيب محفوظ كما سبقت الإشارة، حيث نشرت ترجمات لأعماله في 28 لغة من لغات العالم، وكانت أكثر من ربع تلك الترجمات في اللغة الإنجليزية التي

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

بيع فيها أكثر من مليون نسخة من أعمال محفوظ وهو رقم يزيد على العدد الكلي لنسخ أعماله التي طبعت باللغة العربية ذاتها⁽¹⁸⁾

وهو ما أكده مدير قسم النشر بالجامعة الأمريكية⁽¹⁹⁾ في القاهرة مارك لنز بإشارته إلى أن رواية "زقاق المدق" قد صدرت في 52 طبعة في 21 لغة فيما طبعت روايتا "اللس والكلاب" و"ميرامار" فيما يربو على 20 طبعة في 10 لغات.

أما المترجمة المبدعة دوريس كيلياس⁽²⁰⁾ فقد نقلت نحو أربعين رواية من روايات نجيب محفوظ إلى اللغة الألمانية، لتسهم في تعريف جمهور واسع في البلدان الناطقة باللغة الألمانية بروايات رائد الرواية العربية نجيب محفوظ وفي وصول الأدب العربي إلى العالمية. "لا بد للمرء من أن يحب موضوعه، لكي يستطيع نقله نقلاً جديراً للآخرين، جسدت دوريس كيلياس هذه القاعدة، التي تعود للشاعر الألماني الكبير جوته طوال مسيرة حياتها المهنية. لقد أحبّت دوريس كيلياس عوالم ومواضيع نجيب محفوظ الأدبية بالأخص، ولعل هذا سبب نقلها الناجح لأعماله الأدبية ومساهماتها في تحقيق شهرته العالمية"⁽²¹⁾.

من هنا زاد يقين هذه المؤسسات أن العربية ليست لغة يتواصل بها مئات الملايين في الوطن العربي فحسب بل تؤكد لديهم أن اللغة العربية تعكس منظومة متكاملة من العقائد والأفكار والثقافات، كما أنها تكشف عن هوية الناطقين بها.

لكن تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن هناك قصورا واضحا وشحا شديدا في الترجمة إلى العربية وكذلك من العربية، ولعل هذا التقصير يعود إلى مجموعة من المعوقات، ليس هذا مقام تفصيلها وإنما، يمكننا الإشارة إلى مجموعة عوامل تقف بوضوح أمام حركة الترجمة من وإلى العربية، أذكر منها، نسبة الأمية، وضعف القراءة لدى كثير من الشعوب العربية، وتدخّل بعض الأجهزة الأمنية فيما يترجم وتقصير الأجهزة الإعلامية في الترويج لمبدعيها العرب، إضافة إلى عدم توافر جهد مؤسسي منظم ينهض بالترجمة إلى عوامل أخرى متصلة بدور النشر وسائر العوامل الاقتصادية والتجارية وربما الدينية والسياسية،

⁽¹⁸⁾ (هاني عوكل: واقع الترجمة في الوطن العربي. ندوة مركز دراسات "الخليج". الحلقة الأولى (2010). وثيقة إلكترونية، تم الوصول إليها يوم 2018/04/23 من الرابط التالي:

<http://www.alkhaleej.ac/alkhaleej/page/ce1220bd-9a36-4609-bb0c-03a28e91d5f5>

⁽¹⁹⁾ نفسه.

⁽²⁰⁾ منى البحر. واقع الترجمة في الوطن العربي. الحلقة الأولى (2010). ندوة مركز دراسات "الخليج".

⁽²¹⁾ محمد عياد إبراهيم: واقع الترجمة في الوطن العربي. الحلقة الأولى (2010). ندوة مركز دراسات "الخليج".

الباحثة/ ناجيه على راشد الخرجي

وهنا نقف أمام إحصاء بسيط صادم ، وإن كان ليس دقيقا في أرقامه ، إلا أنه يعد مؤشرا تقريبا لتردي حركة الترجمة.

في دراسة صادمة أنجزتها اليونسكو حول الحصيلة الكلية للترجمة العربية، تفيد بأن ما ترجم إلى اللغة العربية، منذ عصر المأمون سنة 813 إلى اليوم، لم يتجاوز العشرة آلاف كتاب، وهو عدد يساوي ما تترجمه إسبانيا في سنة واحدة فقط⁽²²⁾ ، وثمة مفارقات مذهلة لمن يتابع إحصاءات الكتب المترجمة بين العربية من جهة وغيرها من اللغات العالمية من جهة أخرى فما تترجمه الدول العربية مجتمعة في السنة الواحدة لا يعادل خمس ما تترجمه اليونان وحدها في العام.

ويبلغ "متوسط ما يترجمه العالم العربي على مدى خمس سنوات هو 4,4 كتاب مترجم لكل مليون مواطن عربي، بينما متوسط الترجمة في هنغاريا يصل إلى 519 كتاب مترجم لكل مليون مواطن هنغاري في نفس الفترة"⁽²³⁾ ، والخلاصة في هذا الأمر أن المفارقة الكبرى تزداد وضوحا حينما ننظر إلى نشاط الترجمة عند العرب من جهة والغربيين من جهة أخرى ، فإحصاء آخر جديد يثبت أن " مجمل الكتب العربية المترجمة خلال عشر سنوات لا يعادل نسبة 1% من الكتب الصادرة سنويا في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها⁽²⁴⁾، وللقارئ أن يتصور حجم المعارف والكتب الغائبة عن إدراك القارئ العربي.

اللغة العربية وتحديات العولمة :

ومع ازدياد وتيرة الدعم إلى الديمقراطية في العالم، وتعزيز المؤسسات المدنية والحقوقية وتمكين المرأة وطرح إشكاليات متعددة عن سمة العلاقة التي تربط الحضارة العربية الإسلامية بغيرها من الحضارات الحديثة في أوروبا وأمريكا خاصة في عصر الحداثة وما بعدها ، إذ طرح سؤال محوري عن هذه العلاقة هل صدامية أو حوارية ؟ ثم كانت الدعوة في الحوار بين هذه الحضارات وهو حوار يقوم على الاعتراف بالآخر العربي والتسليم له بإملاكه تاريخاً ليس بالقليل في الإسهام الحضاري العالمي، كما اضطرّ كثير من هؤلاء

22 (بسام بركة: ازدهار الترجمة في العالم العربي: هل يعني اكتمالها. صحيفة الحياة. 28 سبتمبر 2014 .

23 (عفاف البطاينة. واقع الترجمة في الوطن العربي. الحلقة الأولى (2010). ندوة مركز دراسات "الخليج".

24 (واقع الترجمة: مظهر آخر من مظاهر التخلف العربي، الجزيرة نت، 2008. وثيقة إلكترونية تم الوصول إليها يوم 2018/04/25 من الموقع التالي:

http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2008/6/1-العربي. واقع-الترجمة-مظهر-آخر-من-مظاهر-التخلف-العربي.

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

المفكرين إلى إعادة النظر في أحكامهم على العرب وثقافتهم فاحترام الآخر والاعتراف بدوره يعد أولى درجات تحقيق الحوار بين الشعوب.

ولم تجد الدعوة العولمية الأمريكية الطريق سهلاً إلى إعادة تنميط العرب وثقافتهم ، فعندما حاولوا تقديم أنفسهم بوصفهم المركز أو القطب الأوحدهم وغيرهم من الشعوب والثقافات هامشاً يدور في فلك الغرب ، حينما حاولوا ذلك صدموا بمجموعة من الحقائق منها .

(1) أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل محاولة تذويب الثقافة العربية في غيرها من الثقافات الإمبريالية المهينة.

(2) إن اللغة العربية تمثل هوية الناطقين بها وعقيدتهم بل هي الوجه الآخر للعقيدة ، فإذا أردت هدم الدين الإسلامي فعليك بهدم اللغة العربية.

(3) أن جل المحاولات العولمية بأبعادها الإعلامية والإقتصادية إذا نجحت في فرض خطابها على الناطقين بالعربية ومهما أزلوا من حواجز جمركية وأحالوا الوطن العربي إلى سوق ضخمة ؛ لاستهلاك إنتاجهم "رغم هذه المحاولات إلا أن العربية بصلابة وضعيتها وتجزر تاريخها وعشق أبنائها لها تقف حجراً يستعصي عنده تمييعها أو تغيير ملامحها الأصيلة" (25)

ومع ذلك فيمكن الإشارة إلى بعض المظاهر السلبية التي تهدد العربية حينما تحاول العولمة الثقافية تشويه ملامحها، وتمتد جذور الآثار السلبية للعولمة في المجال اللغوي إلى استغلالها في فرض الفلسفة النفعية المادية العلمانية، وما يتصل بها من قيم، وقوانين، ومبادئ على سكان العالم كله. ولا تستثنى، وهي عمليات تعد استعماراً ثقافياً من الناحية السياسية، وتعلن على رؤوس الخلائق الثقافة العربية الإسلامية، واللغة من التأثير السلبي بعمليات العولمة في هذا المضمار أن عليهم أن يتحدوا ضمن العولمة الغربية الأمريكية مع السماح لهم بالحفاظ على التنوعات الثقافية واللغوية التي تتعارض مع مصالح هذه العولمة، وسياساتها، وأهدافها المرسومة.

من أبرز هذه الآثار طغيان اللغة الإنجليزية في التحاور الحضاري والتبادل التجاري الدولي، وإقصاء غيرها من اللغات إلى التعامل الإقليمي، أو المحلي. وشاع استعمال اللغة الإنجليزية

(25) د محمد عبد الحميد خليفة: جدلية العولمة والخصوصية الثقافية ، بحث ضمن أعمال مؤتمر التنمية المستدامة في العالم الإسلامي وتحديات العولمة ، رابطة الجامعات الإسلامية بالقاهرة ومركز الشيخ صالح ، من 17-19 مايو 2008م ، ص18.

الباحثة/ ناجيه على راشد الخرجي

في مواقف اجتماعية، واقتصادية كثيرة، وفي تخصصات علمية تقود الولايات المتحدة الأبحاث العلمية فيها، وفي العلاقات الشخصية بين الأفراد المنتمين إلى لغات، وثقافات متنوعة وبلغ من هيمنة اللغة الإنجليزية في المجال العلمي أن تمسكت بعض الجامعات العربية وخلق نوعاً من الثنائية اللغوية العلمية فضلاً عن الشعبية الاجتماعية والفردية في هذه الدول بتدريس بعض التخصصات العلمية الطبيعية والتطبيقية باللغة الإنجليزية ، أو غيرها من اللغات غير العربية.

صار هذا النوع من التعليم تقليداً علمياً عميق الجذور، ظاهرة الثنائية اللغوية الأجنبية. ورغم كل ما سبق فإن اللغة العربية قد وضح أنها لغة ركيزة وأصلية بما تمثله من وعاء ضخم للفكر والثقافة والعقيدة والهوية ليس من السهل القضاء عليها أو اقصاؤها من المشهد اللغوي العالمي.

وهذا إلى جانب ما أشرنا إليه سابقاً من نشاط حركة الترجمة إلى العربية ومنها كان مؤشراً رئيساً دفع منظمة التربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) عبر أكثر من اجتماع لها إلى الاعتراف بالعربية لغة عالمية حية كالإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية والصينية. مراحل الاعتراف بالعربية لغة عالمية:

منذ أن أعلن المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثالثة، التي انعقدت في بيروت (لبنان) عام 1948، اللغة العربية لغة العمل الرسمية للمؤتمر العام في دورته تلك إلى جانب الإنجليزية والفرنسية. ومنذ ذلك التاريخ، حرصت اليونسكو على تعزيز اللغات الأخرى فعمدت إلى اختيار مجموعة من الوثائق والمؤلفات والمنشورات المهمة الصادرة عنها بغية ترجمتها إلى لغات غير لغات العمل الرسمية وطباعتها وتوزيعها.⁽²⁶⁾

ومنذ هذا الوقت، وفي خلال الخمسينيات ، ثم المؤتمرات المتعاقبة لليونسكو منذ 1960_ 1968م، مرت العربية من أجل الاعتراف بها دولياً بأطوار ظلت فيها اليونسكو تزيد من اهتمامها بالعربية وتعمل على تعزيزها في إطار التعدد اللوي العالمي لليونسكو، فبدأت تترجم كثيراً من وثائقها ومحاضرات أعمالها ومؤتمراتها إلى العربية. وبعد هذه الإجراءات المرحلية، اعتمد المؤتمر العام في عام 1974 اللغة العربية كلغة عمل وقرر وضعها في نفس المكانة التي تحظى بها اللغات الأخرى.

²⁶ (ملكة كركود (2014). الترجمة في الوطن العربي بين الركود والتحديات. فرانس 24. 2014/05/15.

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

ثم جاءت مبادرة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود عام 2007 لتعزيز حضور اللغة العربية في اليونسكو، وظلت العربية تواصل انتصاراتها وتكسب اعتراف اليونسكو والعالم بها خاصة في ظل وجود دول الوطن العربي الذين هم أعضاء في هيئة الأمم المتحدة، وهكذا مرت العربية برحلة تجاوزت النصف قرن حتى تم الاعتراف بها لغة عالمية نظراً لاعتبارات تاريخية واجتماعية مختلفة.

"وكانت المؤتمرات الدولية والإقليمية مؤشراً عمل على دعم فكرة اعتراف اليونسكو بالعربية أو بصورة أخرى فإن اختيار اللغة العربية لغة ثانية أو ثالثة للمؤتمرات ذات الصلة الدولية كان مؤشراً ثانياً للاعتراف بالعربية وثقتها، فالوطن العربي مثلاً الذي تتحدث شعوبه العربية والذي يبلغ 25 دولة، كل هذه الدول تعد عضواً في المجتمع الدولي كالأمم المتحدة ومنظماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية".⁽²⁷⁾

كما أن الإحصاء الذي تعتمد عليه منظمة اليونسكو كمؤشر دال أكد أن عدداً يبلغ إن لم يتجاوز نسبة المليار ممن يتحدثون العربية وتعد لغتهم الأم أو يستخدمونها كمسلمين وفي ممارسة شعائرهم الدينية.

إذا قمت بحساب جميع أصناف اللغة العربية اليوم معاً، فيمكنك أن تقدر بأمان وجود حوالي 467 مليون ناطق بالعربية في العالم بأسره، مما يجعلها خامس أكثر اللغات تحدثاً على مستوى العالم خلف الماندرين والإسبانية والإنجليزية والهندية.

ولا شك أن دول الخليج العربي خاصة أكثر من غيرها من الدول العربية لما تمتلكه من ثروة البترول كان داعماً لموقف المطالبين من العرب بضرورة الاعتراف بالعربية لغة عالمية؛ ذلك لأن الغرب بنزعاته الإمبريالية التي لم يتخلص منها كثير منهم تقف مصالحة الإقتصادية والإنتاجية على الذهب الأسود العربي.

العربية بين العلمية والجمالية:

وإذا كان البعد العلمي من أهم الأبعاد التي تمنح لأية لغة وضعيتها بين اللغات وأعني بالبعد العلمي قدرتها على نحت مصطلحات تعد أوعية لغوية دقيقة ودالة على المحتوى المعرفي الذي تحمله وقد أشرنا سابقاً إلى الإسهامات التي قدمها علماء العربية في صياغة المصطلح العلمي الدقيق إلى حد أن بعضهم قد كتب مصنفات حول علم من العلوم محدداً

(27) موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.

<http://www.unesco.org/new/ar/unesco/resources/history-of-the-arabic-language-at-unesco/>

الباحثة/ ناجيه على راشد الخرجي

المصطلحات التي تدخل في مجال علمٍ دون غيره متقيدين في ذلك من المقولات المنطقية الأوسطية في حدود العلوم. فالجامع المانع يختلف والجامع غير المانع واقرأ كتباً كمثل كتاب التعريفات للجرجاني⁽²⁸⁾، ومفتاح العلوم للسكاكي⁽²⁹⁾، نقف على جهد علمي دقيق سبق إليه العرب فيما يعرف الآن بعلم المصطلح ، ولقد كانت للسمة الموسوعية التي صبغت ثقافة علمائنا المسلمين أثرها الضخم في منحهم الرؤية الشاملة والتي تتجاوز التخصص الدقيق إلى تخصصات أخرى إلى حد أن مفهوم الأدب كان يعني الإلمام من كل علم أو فنّ بطرف وهذا ما يتحدث عنه كثير من علماء اليوم من مفهوم الدراسات البينية والحضور العلائقي بين التخصصات المختلفة وتضافر الحقول المعرفية وتماسها .

أما البُعد الثاني غير العلمي فهو البعد الجمالي الذي تنطوي عليه العربية معناً ولفظاً وخطاً ، فالخط العربي أضحى في ذاته علماً وفناً له متخصصوه وأدهش الناظرين عربياً وعجماً لتنوع الخطوط العربية⁽³⁰⁾ وجمالية كتابة حروفها حتى أصبح الخط العربي أحد الفنون التي تدرس في مدارس خاصة وتعد جزءاً لا يتجزأ من فنون العربية التشكيلية كالعقارة وفن الأرابيسك ... إلخ.

هو حدث فني دولي متخصص في فنون الخط العربي والفنون العالمية المعاصرة التي تعتمد الحرف كمفردة بصرية، تنظمه دائرة الثقافة في حكومة الشارقة، يعكس الملتقى حيوية الخط العربي وآفاق الحرف الفنية، يقام بشكل دوري مرة كل عامين في شهر إبريل لمدة شهرين. بتوجيه ورعاية من حضرة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة⁽³¹⁾ رعاه الله، ويمنح الملتقى جوائز للأعمال الفنية المتفردة في الخط العربي المنجز بناء على القاعدة، والإبداعات الخطية المعاصرة. ولا تزال الحواضر الأندلسية كقرطبة وغرناطة وطليلطة شاهدة بما تحتفظ به حتى الآن من مثل هذه الفنون الجمالية التي اجتذبت إليها الفنانين والمتعلمين الأسبان.

²⁸ (علي بن محمد بن علي) الجرجاني : كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الريان للتراث ، د.ت
²⁹ راجع السكاكي: مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور ، ط 1407-هـ-1987م
³⁰ وليد سيد حسنين محمد:فن الخط العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2015م
³¹ انظر الرابط

<https://www.echoroukonline.com/350-%D8%B9%D9%85%D9%84-%D8%B3%D9%8A%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%82%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%AE%D8%B7/>

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

وقد تداولت كثير من الكتب وأفكار العلماء العرب مقولة أسرار العربية " (32) وهي مقولةٌ إذا أعدنا تفكيكها لغوياً في مستوياتها الصوتية والصرفية والدلالية لوقفنا على منجز لغوي غزير وثري لفت إليه الدارسين والأكاديمين في كشف هذه الأسرار التي تتفرد بها العربية عن غيرها من اللغات، وهنا ينبغي الإشارة إلى قضية (الحس اللغوي) فالعربية تمتلك أدوات تغزو نفوس المقبلين عليها فتلين أنفسهم لجمالها وثرائها ليمتلکوا ذلك الحس الذي يمکنهم من الإحساس بها لغة أصواتٍ قبل أن تكون لغة معانٍ.

اللغة العربية وحركة الاستشراق:

ولقد كان لحركة الاستشراق الغربي خاصةً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أثر بالغ في كشف جمال العربية وقيمتها المعرفية، وبقطع النظر عن الأهداف الدينية والسياسية التي وقفت وراء حركة الإستشراق الغربي فإنه يمكننا رصد ما يأتي:

(أ) لقد غزت العربية كلغة علم وثقافة وحضارة تليدة أوروبا جميعها فانبروا لتعلمها وكشف بعض أسرارها ونقل ما تحويه من معارف وعلوم.

(ب) استطاعت العربية الجميلة أن تغزو مشاعر أولئك المستشرقين فاندھشوا لمقدرتها الفائقة في كشف أدق المشاعر الإنسانية وأخصها على الإطلاق. وبعضها مشاعر إنسانية بما تعجز مؤلفاتهم الأعجمية عن التعبير عنها بدقة التعابير العربية.

(ج) ويدھش القارئ حينما يجد قائمةً طويلةً من المستشرقين الغربيين خاصة في ألمانيا وفرنسا قد تصدوا لتحقيق دواوين شعرية وشرحها ثم نشرها.

(د) وهنا نؤكد أن بعض أولئك المستشرقين قد اعترف للعربية بخصوصيتها وتفردتها حينما وقف على بعض أسرارها وتكوّن لديه حسٌ بها.

ولقد أصبحت الحاجة الآن إلى الاعتراف العالمي باللغة العربية أمراً ضرورياً وملحاً لتحقيق الحوار الحضاري ومواجهة التّعصب والعنف الذي ألصقه بعض المتشددین الأوروبيین بالعرب والمسلمين حيث ظهرت مقولات مثل (الإسلام فوبيا)، وهنا بدأ الأوروبيون يعترفون

32 (راجع على سبيل المثال الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق خالد فهمي ، الطبعة الأولى ، الناشر مكتبة الخانجي، بالقاهرة ، ومطبعة المدني ، بالقاهرة ، 1998 ، وعبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة، ت.هـ. ريتز ، ط3، دار المسيرة – 1983 ، وابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، ط1 ، الخانجي ، 1932 م .

الباحثة/ ناجيه على راشد الخرجي

بضرورة الحوار وليس الصدام وأن اللغة العربية تحمل هوية المتحدثين بها ، وأن محاربة العربية هي محاربة للإسلام الذي يتمسك به المسلمون عقيدة وسلوكاً.

اللغة وإشكالية الهوية:

ولما كانت اللغة محور الثقافة ووسيلة من وسائل التفكير الذي يحدد رؤية العالم ونواميسه كانت معرفتها أهم ركيزة لتحسين الهوية والذات والشخصية، والهوية مفهوم ذو دلالة لغوية وفلسفية واجتماعية وثقافية، "ويتضمن الإحساس بالانتماء القومي والديني والاثني" (33) وإذا كانت اللغة هي الأساس الصلب الذي تقوم عليه الأمة فإن الهوية في الواقع هي خاصية اللغة ووظيفتها الأساسية.

وفي المدرسة الألمانية القائمة على فلسفة " هيغل " المثالية ثمة تركيز على أن أساس القومية (الهوية) ومعياريها الصحيح هو اللغة ، فهي القوة الخفية التي تحرك الأفراد وتوجه المجتمع ، وفي هذا الإطار يرى هرر " أن قلب الشعب إنما ينبض في لغته ، وأن روح الشعب تكمن في لغة أسلافه ، وهي الوعاء الذي استودعه الشعب كل ما أنجزه من نفائس الفكر وذخائر الأعراف والفلسفات والعقائد ". (34)

ويقول " فيخته " : "إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يشكلون كياناً واحداً متكاملًا ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن تكن غير مرئية". (35)

وقد ألمح أمين معلوف الكاتب اللبناني بالفرنسية إلى خطورة مسألة اللغة فيما سماه (بالهويات القاتلة) (36).

ولقد تنبه أسلافنا القدماء وعلماء المسلمين إلى الخطر الذي يهدد الهوية الإسلامية إذا تساهلوا في لغتهم التي تمثل هويتهم الإسلامية في الأساس، ونعرض بإيجاز بعضاً من أقوالهم في ذلك:

"يقول عمر بن الخطاب: (تعلموا العربية فإنها من دينكم).

وقال الإمام الشافعي: (اللسان الذي اختاره الله عز وجل لسان العرب فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد -صلى الله عليه وسلم- ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأولى).

(33) د محمود السيد : اللغة والهوية ، مقال منشور ، موقع الجابري ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، م 3 ، ج 85 ، ص 644

(34) المرجع نفسه

(35) نفسه

(36) راجع أمين معلوف : الهويات القاتلة ، ترجمة نهلة بيضون ، الناشر دار الفارابي ، بيروت ، لبنان د.ت.

عالمية اللغة العربية أسبابها وقضاياها

وقال ابن تيمية رحمه الله: (فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون)⁽³⁷⁾ اقتضاء الصراط المستقيم، ص 203. ويقول رحمه الله: "وما زال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات وهو التكلم بغير العربية إلا لحاجة، كما نص على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال: مالك من تكلم في مسجدنا بغير العربية أخرج منه مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها، ولكن سوغوها للحاجة، وكرهوها لغير الحاجة، ولحفظ شعائر الإسلام"⁽³⁸⁾ (الفتاوى 32-255).

وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية)، قال: ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال عليها وعلى تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم.

وقال مصطفى صادق الرافعي رحمه الله: ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار وأن هذه العربية بنيت على أصل يجعل شبابها خالداً عليها فلا تهرم ولا تموت. وإذا كان ماسبق من أقوال السلف الصالح قد يلقي اعتراض البعض بأنهم علماء عرب ومتعصبون للغتهم ودينهم فمن المنطقي أن تصدر عنهم هذه الآراء، فما القول إذن حينما يشهد للعربية علماء من غير أهلها ولا يدينون بدينها، إنهم جماعة من الغرب مست العربية قلوبهم وصافحت وجدانهم، إنهم بعض المستشرقين الغرب - قال المستشرق الألماني يوهان فك إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية الفصحى لغة القرآن.

- وقال جوستاف جرونيباوم: عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله محمد أنزلها قرآناً عربياً والله يقول لنبيه:

{قَائِمًا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها ويقول الألماني فريتاغ: اللغة العربية أغنى لغات العالم. ويقول الأستاذ مرجليوت الأستاذ بجامعة أوكسفورد: اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية

(37) مقال في مؤسسة الجزيرة. - الخميس 14 صفر 1434 - العدد 14700.

<http://www.al-jazirah.com/2012/20121227/cu7.htm>

(38) مقال في مؤسسة الجزيرة. - الخميس 14 صفر 1434 - العدد 14700.

<http://www.al-jazirah.com/2012/20121227/cu7.htm>

الباحثة/ ناجيه على راشد الخرجي

وهي واحدة من ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاء لم يحصل عليها غيرها. ويقول المستشرق بارثلمي هربلو: إن اللغة العربية أعظم اللغات آداباً وأسماءها بلاغة وفصاحة وهي لغة الضاد.

كما يقول جون فرن: إن مستقبل الأدب في العالم العربي هو اللغة الفصحى وحدها الزاخرة بالثروة والغنى والتراث وليست اللهجات العامية بلغة كيانية بل هي تحريف وتشويه للفصحى ولن تتمكن هذه اللهجات إطلاقاً من اجتياز جدار التراث والفصحى. ويقول المستشرق جاك بيرك: اللغة العربية لغة المستقبل ولا شك أنه يموت غيرها وتبقى حية خالدة.

لقد مضى زمن الجيوش الغازية ولم يعد الوقت وقت مواجهاة عسكرية وقد علم الأوروبيون المستعمرون خطأ التجارب العسكرية مع الأوطان العربية فلم تتجح فرنسا أو إنجلترا أو إيطاليا مثلاً في طمس العربية في بلاد المغرب أو مصر أو ليبيا بل على العكس تأثر كثير من أولئك المستعمرين بالعربية ثقافةً ولغةً وفناً وتاريخاً وحضارةً، وهنا جاء دور المؤسسات الثقافية كاليونسكو لتدرك هذا الأمر ولم يكن إدراكها له إلا بسعي أفراد ومؤسسات وحكومات عربية استطاعت دعم فكرة الاعتراف الدولي باللغة العربية لتكون لغةً عالميةً، ولعل للملكة العربية السعودية والمغرب دور بارز في دعم هذه الفكرة ثم يأتي دور دولة الإمارات في مؤسساتها الحكومية والمدنية في جعل العربية قضية العصر إذ وفرت لها كافة الإمكانيات المادية والإعلامية للتشجيع عليها وترويجها حتى أصبحت العربية مرتبطة إلى حد كبير بعرس علمي تعقده إمارة دبي سنوياً لها.⁽³⁹⁾

إن العربية حينما يعترف العالم بمكانتها دولياً ، فإن ذلك ليس أمراً حديثاً وغير مسبوق ، بل إننا نؤكد أنها تسترد مكانتها التي كانت عليها فلقد ظلت على مدى قرون هي اللغة الثانية إن لم تكن الأولى في العالم يحج إلى كعبتها في القاهرة وبغداد مثلاً كثيرون من المتعلمين العرب وغير المسلمين أو الغربيين المبهرين بالحضارة العربية ولا شك أن الإسلام يقف وراء انتشارها دولياً في القديم بفضل التجار المسلمين الذين بشروا أقصى الشرق الآسيوي كالصين والهند والأطراف الروسية بالدين العظيم ولغته العربية ، كذلك حدث ذات الأمر في أواسط أفريقيا وسواحلها".⁽⁴⁰⁾

(39) بحث المؤتمر الدولي للغة العربية، <https://www.alarabiahconferences.org/>، (40) جميل عبد الله محمد المصري: انتشار الإسلام (الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين)، الناشر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

لقد حاولنا في هذه الدراسة إلقاء الضوء على اللغة العربية وما تحملته من تاريخ ممتد في الماضي , وأهم المراحل التي مرت بها حتى نضجت وتبلورت وجمعت على لسانها العرب جميعا , وقد زاد من مكانتها أنها أصبحت لغة عقيدتهم وديوان أنسابهم وأيامهم , وحاملة تاريخهم المديد .

ولقد أرادت العناية الإلهية حفظها , فمرت عبر الأسواق الجاهلية بعمليات صهر واندماج حتى استوت لغة فصيحة نزل بها القرآن , وأعجزت فصحاء العرب أن يأتوا بمثل آياته . وقد ألفت مئات العلماء المسلمين عصارة أفكارهم في شتى المعارف والعلوم الإنسانية والعلمية , فأضحت , تعكس الحضارة العربية التي علمت العالم , كما أصبحت تمثل الهوية العربية والإسلامية بشامل معناها . وإذا كان القرآن والسنة والتأليف بها , من أهم عوامل ثباتها وانتشارها , فإن ثراءها اللفظي والدلالي , كيف وكما كان أيضا من أهم العوامل التي أكسبتها الشهرة والعالمية , وهذا ما شهد به المستشرقون , إلى جانب أبنائها العرب , حينما وقعوا على أسرارها , وهكذا صمدت العربية أمام كل تحدياتها كالعولمة . ونشطت حركة الترجمة منها وإليها لما وجد فيها العلماء من سمات تسمح باحتفاظ العلوم في أوعيتها , وقدرة ألفاظها على أن تصاغ منها مصطلحات علمية منضبطة .

كل هذا دفع العالم متمثلا في منظمة اليونسكو على الاعتراف بها , لغة عالمية عبر مراحل ومؤتمرات متعاقبة خلال النصف الثاني من القرن العشرين وما بعده . وبهذا قد حاولت العربية استعادة مكانتها اللائقة بين لات العالم الحية .

أهم النتائج:

- (1) مرت العربية قبل الاسلام بمراحل تطور حتى استوت ونضجت من خلال الأصوات المكية.
- (2) ثبت القرآن والسنة , وكذلك حركة التأليف من أهمية العربية وقيمتها الحضارية .
- (3) هناك عدة عوامل أسهمت في انتشار العربية وعالميتها , منها ما يختص بها من ثراء , وما يختص بمنجزها المعرفي والعلمي .
- (4) العربية تحمل بعدين مهمين يؤكدان ثراءها , أحدهما كيفي والآخر كمي.
- (5) العربية تحمل بدقة ملامح الهوية العربية الإسلامية.
- (6) شهد المستشرقون لها بعمقها وسحرها , وقيمتها الحضارية.
- (7) تكشف حركة الترجمة عن أهمية العربية , لكونها لغة علم وأدب , رغم تقصيرنا في هذا الجانب.